ولم ينس هذا الاعلان ان يذكر الانسان والجان باصل النشأة وخاتمة المطاف (كل من عليها فان) والذي يوجهنا اليه البحث من الفيض الطاهر العزيز لهذا الاعلان هو اصل النشأة وميزة البيان فنعود الى:

(الرحمن) .. اسم من اسماء الله الحسنى يفيد الرحمة العظمى التي اشتقت منها كل رحمة والتي تعود الى فضلها كل نعمة ويضاف الى فيضها كل منة كانت وستكون فاسم الرحمن اذن خليق بهذه البداءة، جدير بهذا المطلع في هذا الاعلان العام ..

(علم القرآن) .. هذه الآية جملة فعلية جاءت بصيغة الماضي . الفاعل فيها الرحمن جل وعلا ، والفعل الماضي (علم) يحتاج الى مفعولين فكان الاول (القرآن) والثاني محذوف قدره كل مفسر بما الهمه الله والاغلب هو جبريل عليه السلام الذي كان ينزل بالوحي على الانبياء والرسل .

ومجيء هذه الآية (علم القرآن) قبل (خلق الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن انما له دلالة على كون هذا العلم قد سبق خلق الانسان بالفعل .

والقرآن تلك النعمة العظيمة التي تحدد طريق الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن والسكينة والنجاة ، فلا يكون ضائعا في متاهات الكون والنفس ولا شريدا من حضرة الروح .

لذلك كان القول وتعليمه جبريل قبل خلق الانسان .. (فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين) — الواقعة 75 — 80 — .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة — قال — وعرشه على الماء) . — الجزء 7 — باب القدر — .

ومن وصايا عبادة بن الصامت لابنه وهو على فراش الموت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان اول ما خلق الله القلم ، فقال له اكتب ، فقال رب وماذا اكتب ، قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ..) ذكر الحديث باكمله ابو داوود في سننه (10) .

(خلق الانسان) .. بصريح العبارة (خلق الانسان) لكي لا يضيع هذا الانسان في بحر التساؤلات والتكهنات .. خلق الله الانسان بكل ما فيه من اجهزة وخلايا وبكل ما معه من مواهب وصفات وميزات خلقه .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا سويا .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا خلقه .. (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ..) ويتعلق بالعبادة مفهوم المعرفة معرفة الله جل وعلا.

وكيف خلقه : (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون . يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون — السجدة — وسيأتي معنى توضيح ذلك في قصة البشرية الاولى .

(علمه البيان) .. البيان هو التعبير والتوضيح وآليته كبيرة تبتدا من الرئتين وما فيها من قصبات وحجرات الى الحنجرة ثم الاحبال الصوتية والحلق واللسان والاسنان وما يربط ذلك من اعصاب تتصل بالدماغ .

لماذا افردت ميزة البيان عن غيرها من صفات الانسان علما بان الآلية التي تؤدي اليه ، تقريبا هي نفس الآلية الموجودة في الحيوان الناطق (الببغاء — نوع من انواع الطيور) وموجودة ايضا في الحيوان الابكم (سائر الحيوانات) ..

وهنا سر الاعجاز الالهي ، يتجلى بهذا الافراد، فنفس الآلية تجعل من الحيوان مخلوقا ابكم لا يستطيع التعبير عما يجيش في صدره حيث لم نسمع على مدى التاريخ ان حيوانا واحدا قد نطق .

وهذه الآلية بالذات جعلت من الببغاء ذلك الطائر الاليف ، مخلوقا ناطقا ولكن بدون وعي ولا

ادراك ، وهنا ايضا لم يذكر لنا التاريخ على مداه ان ببغاء واحدا قد اجتاز مرحلة النطق الى مرحلة البيان والتعبير عما يختلج فى حناياه مرحلة الفهم والادراك الصحيح . وشأن الببغاء شأن المردد الذي يرجع الصوت كما هو ويحاكيه فيما يسمع منه . وما عدا ذلك فلا نطق ولا كلام .

وبنفس الآلية كان الانسان مخلوقا ناطقا معبرا مدركا يبين عن احساساته بالنطق ويعبر عنها بالهمسات ويرسم خوالج نفسه بدفقات من الهواء تخرج من بين اسنانه ولسانه .

لهذا كله افرد البيان وميز فى خلق الانسان (خلق الانسان .. علمه البيان) . لقد جعل الله لهذه الآلية سرا وميزة فى الانسان ، فلو قال الله — وقوله الحق — خلق البيان : لقلنا : سوف ينطق الحيوان لانه يتمتع بنفس الآلية او لكان من الواجب ان تختلف آلية الحيوان عن آلية الانسان ، والواقع انها واحدة فى الاثنين لاظهار القدرة والابداع مختلفة فى النتيجة حيث مكنت الانسان من البيان الكامل ولم تمكن الحيوان الا من بعض الاصوات .

وثمة سؤال يطرح نفسه فى هذا المجال : متى نطق ابو البشرية — آدم — هل كان ذلك عقب تمامه بشرا سويا ام انه عاش فترة زمنية بدون نطق ، والجواب : انه لا يعقل ان يكون ناقصا وخالقه يقول (وصوركم فاحسن صوركم ..) ولابد لهذا المخلوق من ان يتعامل مع بيئته بحسب ما رسم له من غايات واهداف ، والتعامل يكون مبتورا لو كان هذا المخلوق ابكم لا يدرك شيئا ولا يستطيع التعبير عنه .

وآدم تعامل مع بيئته بالكلام والنطق منذ اول لحظة لدبيب الحياة فى جسده والدليل على ذلك نستخرجه من قصة البشرية الاولى التي ذكرها الله بقوله الكريم :

(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة ، قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم قال : الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم — سورة البقرة — .

ومن سورة الاعراف : (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

من هذا السرد الخاطف لكلام الله تعالى فى قصة البشرية الاولى نستخرج عدة ملاحظات تناسب موضوعنا اهمها :

1 — خلق آدم كان اعجازا للملائكة واظهارا لقدرة الله على تكوين مخلوق مادته من احط العناصر ولكنه سام بسمو الروح التي فيه ، عالم لامور لا تعلمها الملائكة الذين يبذونه بالمنصر ويتعالون عليه بالنور .

2 — ان ما غرس فى فطرة آدم من دوافع اساسية تدفعه الى التعامل مع هذه الارض واكتشاف خيراتها وتحقيق خلافة الله فيها ، تلزمه ان يسمي كل شيء باسمه مما سيوضع تحت يديه، ومما يراه فى بيئته ، فكان ان علمه الله اسماء كل شيء بطريق الالهام ، فلما نزل الى ساحة المبارزة مع الملائكة كان يجيب على كل سؤال ويسمي كل شيء ، والملائكة لا تستطيع ذلك ، وتمت كلمة ربك (.. الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .